الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945 * قالمة *
كلية الحقوق والعلوم السّياسيّة
قسم العلوم السّياسيّة

# المحور الأول: الإرشـــاد السيـــاحي

# المعنى والأهمية والتطور التاريخي

1- مصطلحات ضرورية
2- معنى الإرشاد السياحي
3- أهمية الإرشاد السياحي
4- التطور التاريخي لمهنة الإرشاد السياحي

أولاً: عصور التاريخ والإنسان القديم

ثانياً: عصور ما قبل الإسلام

ثالثاً: قيام الدولة العربية الإسلامية

رابعاً: عصر الاستكشافات الجغرافية والعالم الجديد

خامساً: عصر النهضة والثورة الصناعية والتكنولوجية

سادساً: الثورة الإلكترونية وعصر المعلوماتية

**مقدمة**

على الرغم من أن المعاني التي تعطى والأهمية التي توكل للإرشاد السياحي وللدلالة السياحية يعطيان الانطباع من أننا نتعامل مع ظاهرة حديثة ومعاصرة فإن الحقيقة ليست كذلك. فإن الإرشاد السياحي لم يصل إلى ما وصل إليه الآن سواء بالمعنى أو بالأهمية إلا بعد مروره بجملة من الحقب التاريخية، تعود البعض منها إلى عصور قديمة جداً، والتي أكسبته ما له اليوم من أهمية بالغة في مجمل عملية الإنماء السياحي.

**1- مصطلحات ضرورية**

- **مدير الرحلة TOUR MANAGER:** هو مرافق للمجموعة أو الفوج الزائر من نفس جنسيتهم على الأغلب أو أنه مكلف من قبل الجهة المرسلة للمجموعة لإدارة أمورها وقد ينحصر عمله بالنواحي الإدارية والتنظيم وهو بالضرورة ملماً بأمور السياحة وقد يشارك بالترجمة إذا كان مكلفاً بذلك. ووظيفته تسهيل أمور المجموعة ومرجعيته الجهة التي كلفته بالعمل، فبهذا قد يكون نفسه **Tour Operator, Tour Leader, Escort, Interpreter**، وليس له أن يقوم بدور الدليل السياحي بالشرح في المواقع طالما توفر الدليل الكفء وقد يكون الدليل السياحي المرخص في بلد ما مدير مجموعة من نفس بلده حال زيارتها لبلد آخر، كأن يكون دليل سياحي أردني مدير الرحلة لمجموعة سياحية مغادرة من الأردن إلى لبنان، ويقوم الدليل السياحي اللبناني بالشرح للمجموعة السياحية في لبنان.

وهناك اتحاد عالمي لمدراء الرحلات يمنح ترخيصاً رسمياً لمن يقوم بهذا العمل، كما وأن أربعة أدلاء سياحيين أردنيين هم أعضاء في هذا الاتحاد LATM وهم حسب الأقدمية في الاتحاد: السيد سلطان معمر، السيد سمير عمرو، السيد عياد عياد، السيد غسان عويس.

- قائد المجموعة **TOUR LEADER:** وهو مرافق للفوج الزائر وقد لا يكون من نفس جنسيتهم إلا أنه يجب أن يتقن لغتهم وهو مكلف إما من قبل الجهة المرسلة، أو المجموعة نفسها بإدارة أمورها وليس بالضرورة أن يكون ملماً بأمور السياحة، فقد يكون أستاذ مدرسة أو راعي كنيسة وينحصر عمله بالتنسيق ما بين المجموعة والجهات الأخرى مثل الفنادق؛ المطاعم؛ المعابر الحدودية وذلك عن طريق الدليل السياحي ومندوب المكتب، المستقدم للمجموعة، ومرجعيته الجهة التي كلفته بالعمل وقد يكون نفسه مدير الرحلة منظم المجموعة أو مجرد مرافق أو مترجم وليس له أن يقوم بالشرح.

- منظم الرحلة **TOUR OPERETER: أي أن** هناك طرفين مسؤولين عن تنظيم أي رحلة سياحية أحدهما من البلد المرسل للمجموعة والآخر في الدولة المستقدمة للمجموعة وكلاهما يسمى بهذا الاسم، ولكننا هنا نقصد الشخص المنتدب من قبل منظم الرحلة، أو منظم الرحلة نفسه، وقد يكون مالك المكتب السياحي نفسه، أو شخص ما ينظم رحلاته عن طريق هذا المكتب، يكون دوره إدارياً، ويفترض بالدليل السياحي تقديم كل مساعدة ممكنة له لتشجيعه على تنظيم رحلات أكثر وليس من واجبات منظم الرحلة أو حقه أن يقوم بالشرح في المواقع، وقد يكون نفسه مدير الرحلة، قائد المجموعة، المترجم أو المرافق.

- المرافق **ESCORT:** حيث جرت العادة أن يتم تكليف موظف رسمي بمرافقة الوفود الرسمية سواء الحكومية أو التجارية القادمة في زيارات رسمية للدولة، وقد يكون هذا الموظف من قسم العلاقات العامة، أو ممن لديه نفس اهتمامات الوفد القادم، كأن يرافق طبيب أحد الوفود الطبية القادمة لزيارة وزارة الصحة، أو أن يرافق مهندس مجموعة من المهندسين هذا لا يعني بالضرورة أن يكون ملماً بالمعلومات التاريخية أو السياحية أو غيره مما يقدمه الدليل السياحي، حيث قد لا تكون المجموعة مهتمة أصلاً بغير المعلومات المتخصصة في مجالها. أما الجانب الآخر من المرافقين، فقد يكون شخصاً واحداً أو مجموعة قليلة العدد ولا ترغب باستخدام دليل سياحي يرافقها طول الوقت، فيقوم المكتب السياحي باستئجار سيارة سياحية ويكون السائق هو المرافق ولا يحق له (ما لم يكن يحمل رخصة دليل سياحي) أن يقوم بالشرح في المواقع التاريخية والسياحية والأثرية.

ولا يفوتنا أن نذكر أن المرافق في أوروبا يختلف في مفهومه وعمله، إذ قد يكون شخصاً عادياً أو خبيراً في مجال ما ويعرض خدماته بنفسه من خلال إعلانات الصحف والمجلات والإنترنت لتوفير وسائل الترفيه والتسلية أو لاصطحاب من يرغب إلى صالات القمار والكازينوهات أو الملاهي الليلية، ويفتقر الوطن العربي في أغلبه لمثل هذا النوع من المرافقين المتخصصين بالصناعة أو التجارة، حيث يأتي العديد من رجال الأعمال والصناعيين والصحفيين باحثين عن فرص استثمارية، أو قصص صحفية مثيرة، ويبحثون عن مرافق خبير ومؤهل يتكلم لغتهم ويتفهم اهتماماتهم! ويجب على الإدلاء السياحيين العرب النظر إلى هذا الجانب ومحاولة الاستفادة من الفرص المتاحة لتوسيع نطاق عملهم وخدمة مجتمعاتهم لتفويت الفرصة على غير المؤهلين، ولتجنب أي تشويه قد يحدثه أي فرد غير مسؤول. وهناك نوع من المرافقين يستقبل المجموعات السياحية التي لا ترغب بالاستماع إلى شرح وليس لها برامج وينحصر عمل هذا المرافق بالإجابة على استفسارات المجموعة وتكون مؤهلاته على الأغلب أن يتكلم لغة المجموعة القادمة ولغة البلد

المستقبل لهذه المجموعات مثال على ذلك المجموعات الأردنية الذاهبة إلى تركيا، والمجموعات الخليجية الذاهبة إلى بريطانيا حيث يستقبلهم من يتكلم العربية.

## 2- معنى الإرشاد السياحي

أن يرشد إنساناً إنساناً آخر، يعني فيما يعني، الأخذ بيد الثاني نحو هدف معين والوصول إلى هذا الهدف بيسر وبدون مشاكل وبأقل الكلف، سالكاً أسهل الطرق وأقصرها وموفراً له أثناء هذا الجهد ما يساعده على بلوغ الهدف ويجعل العمل ممكناً ومقبولاً. ولابد للإرشاد أن يعني الدلالة التي يقدمها شخص لشخص آخر، لمجموعة من الأشخاص، مصحوبة بالقيادة والتوجيه والضبط وبهدف إيصالهم من منطقة إلى أخرى ومن خلال تنسيق حركتهم وحصر مسيرهم وتنظيم جهدهم وإدارة مواردهم بالشكل الذي يضمن هذا الوصول بسهولة وبسلاسة وبأقل الكلف وأعلى الفوائد. والدلالة – عمل الدليل – والإرشاد لابد أن يعني كذلك معرفة مسهبة وتفصيلية بالطريق الذي تسلكه هذه المجموعة المتحركة من نقطة إلى أخرى، بمشاكله وصعوباته ومخاطره بهدف تجنبها، والاطلاع على موارده والأماكن الآمنة فيه وتلك التي توفر حاجات المسير – بهدف التوقف عندها والإفادة منها.

الإرشاد هنا يأخذ معناً آخر، خاصة في غابر الأزمان – عندما تحركت قوافل التجارة قاطعة مسافات بعيدة من الصحاري والبوادي والجبال والسهول، وهي تواجه الصعاب والعقبات وتتعرض للسراق وقطاع الطرق – حين كان من واجب الدليل أن يسبق القافلة لاستطلاع الطريق واستكشاف مكان الخطورة فيه، والتوجيه لتجنب وتفادي موقع غير أمين أو للوصول في وقت مناسب، لمكان معين. إن القائم بالدلالة هنا هو (كشاف) و(رائد) بمعنى التوجيه والقيادة من خلال معرفة الطريق وما يكتنفه من مشاكل ومصاعب ومخاطر أو ما يتوقعه منها من خلال خبرته وتجربته وممارسته. كان على الكشاف آنذاك معرفة الأماكن المناسبة للتوقف للراحة أو المبيت حيث تتوفر المياه (للإنسان والحيوان) وتساعد على الراحة، تمهيداً لمواصلة المسير.

إذن فالدلالة والتوجيه والاستكشاف والاستطلاع والحرص والعناية وتوفير المستلزمات، كلها معاني للإرشاد، يقوم بها من يدل ويوجه ويستكشف ويستطلع لفائدة من يقوم بهذه الأعمال لهم، فهو إذن الدليل والموجه والكشاف والمرشد.

وحينما ننقل هذا المعنى الواسع للإرشاد والدلالة والاستكشاف إلى ما يخصنا فالإرشاد السياحي والدلالة السياحية، فإنها ستعني:

(قيادة وتوجيه ورعاية وتنظيم لحركة مجموعة من الناس (السياح) من قبل شخص، يقوم بإرشادهم ويستطلع لهم طريق يسلكونه أثناء رحلة سياحية للانتقال من مكان إلى آخر، وبهدف تحقيق أهداف وغايات يسعون إلى تحقيقها من خلال هذه الحركة الانتقالية). إن حركة الانتقال هذه ممكن أن تكون حركة بسيطة ومحددة، وممكن أن تكون طويلة ومعقدة. كذلك هي ممكن أن تكون محددة الحاجات والمتطلبات أو تكون متطلبات تنفيذها متعددة وتحتاج إلى إعداد وتحضير مسبق. وممكن أن تعتمد واسطة حركة بدائية جداً أو بدون واسطة أصلاً (استعمالاً للأرجل) أو أن تتطلب واسطة انتقال معاصرة ومعقدة ومتعددة الأنواع.

لهذه الأسباب والاختلافات والمتطلبات، لابد لمن يقوم بالإرشاد والدلالة والتوجيه والإدارة والقيادة والاستطلاع وغيرها من مهارات ومتطلبات هذه العملية والمهنة أن يكون قادراً ومؤهلاً على القيام بجملة كبيرة ومعقدة من الفعاليات ويمتلك قدرات ومهارات مناسبة تساعده على إنجاز هذه الأعمال العديدة والمختلفة. والدليل السياحي إذن هو من **يصاحب (Accompany)** مجموعة من السياح وهو بذلك المصاحب أو **المرافق (Escort)** أو هو يقوم بقيادة المجموعة وهو بذلك يكون **قائداً للمجموعة** (Group Leader) أو يدير فعاليات المجموعة والرحلة وهو إذن **مديراً للرحلة (Tour Manager)**. وهو من الممكن أن يقدم الإرشاد أو الدلالة (Guidance) لمجموعة سياحية ويكون بذلك **مرشداً أو دليلاً (Guide)**. وفي مواقع معينة من الممكن أن يكون مطلوباً منه التوضيح والشرح والتفسير (Interpretation) فيكون **موضحاً ومفسراً (Interpreter)**. وقد يكون مطلوباً منه أن يوضح ويفسر ويشرح إضافة إلى الإرشاد والدلالة، ويكون **بذلك دليلاً وموضحاً في آن واحد (Interpreting Guide)**.

كل هذه المفردات سنأتي على وضع تعاريف واضحة ومحددة لها ونحدد المفاهيم التي يستند إليها كل تعريف، ونفرق فيما بينهما وفي ذات الوقت نؤشر التشابه والتداخل فيما بينهما، لكي نصل إلى المعاني والتعاريف العملياتية التي ستعيننا في دراستنا للإرشاد والتوضيح السياحي.

## 03- أهمية الإرشاد السياحي

مما تقدم يتضح أن الإرشاد ليس من نتاجات عصرنا هذا، ولا هو من إفرازات حضارة وثقافة ومدنية مجتمعاتنا المعاصرة، بل العكس، فمن معناه الذي قدم في مقدمة هذا الفصل، يبدو أنه عمل ونشاط إنساني ظهرت الحالة إليه وبانت بدايات أهميته يوم ظهرت حاجة الإنسان إلى الترحال – أي منذ ترك الإنسان القديم الكهوف والمغاور نحو الأراضي المتموجة والسهول. إنه حاجة إنسانية تبلورت مع تدجين الإنسان للحيوانات الأليفة الأولى وسعيه للوصول إلى ما تحتاجه من الماء والكلأ والمرعى. وتوسعت هذه الحاجة حينما تزايدت أعداد المستقرين من الناس في منطقة واحدة بحيث أصبحت موارد منطقة الاستقرار غير كافية لهم. ولابد للبعض من ترك المنطقة والبحث عن منطقة أخرى قادرة على توفير المستلزمات الأساسية للحياة مهما كانت بدائية وبسيطة، له ولمن يقوم بإعالتهم ورعايتهم وقيادتهم.

والحاجة إلى الإرشاد والدلالة وتعيين الطريق ومعاينته وتفحصه وكشف مسالكه، لابد أنها ظهرت مع بداية حاجة الإنسان إلى الترحال والسفر للافتراق عن مجتمعات أصبحت غير مقبولة أو طاردة لسبب أو آخر بسبب النزاعات والحروب والمنافسات أو لمجرد التغير والابتعاد عن المعتاد وبهدف المغامرة ولحب المخاطرة. لابد أن الإرشاد صاحب مجاميع المقاتلين الأوائل الساعين نحو الكسب والاحتلال وأوائل من تحرك للتجارة وتبادل السلع. ولابد أن مجاميع البشر القاصدين لمراكز العبادة ومواطن الحج والزيارة والتبرك، صاحبها من قدم لها الدلالة والإرشاد والتوجيه لضمان الوصول في مواعيد محددة وضمن توقيتات موسمية (دينية كانت أو دنيوية)، ولضمان الوصول بسلام – أو على الأقل بأقل خسارة، على أيام الحج والتجارة والكسب الأولى قبل آلاف السنين.

فكل من تحرك تاركاً مكاناً معيناً، وساعياً لبلوغ مكان آخر، لابد أنه احتاج إلى (وتمكن من توفير) من يدله ويرشده أو يستكشف الطريق له ويستطلع ما أمامه، ويساعده في بلوغ الهدف، ويؤشر له مناطق الخطر ويقوده إلى مواطن الأمان خاصة حينما كان الترحال صعباً، والطريق وعراً، والتسهيلات محددة إن لم تكن معدومة، والمخاطر كثيرة وجسيمة، آنذاك كان من يقدم الدلالة والإرشاد لا يقدمها لوحدهما، بل لابد أنه قام بالحراسة والحماية وكان مسؤولاً عن توفير مياه الشرب والطعام ليس فقط للإنسان المرتحل بل للحيوانات التي كان يصطحبها معه ويعتمد بعضها في تنقله. لابد أنه كان خبيراً (إن صح التعبير) بشؤون الطقس والمناخ والرياح واستعمال النجوم للدلالة

والتوجيه، لا بد أنه كان ثاقب وحاد البصر ومرهف السمع، وقوي البنية، وشديد المراس وقادراً على اجتياز الصحاري الواسعة والبوادي الشاسعة، وعلى معالجة ما يطرأ من حالات غير محسوبة خلال الانتقال والترحال.

منذ ذلك الوقت البعيد في القدم كان من يقدم الاستطلاع المسبق والاستكشاف والدلالة والإرشاد والقيادة والحماية، يتمتع بمواصفات وسمات ومؤهلات خاصة ومميزة جعلته قادراً على أن يدل ويرشد ويقود المجاميع المرتحلة ليس بالبر فقط، بل في البحر كذلك، وليس على السهول فقط بل على الجبال وفي الوديان، وسواء كانت المجاميع المصاحبة كبيرة أو صغيرة العدد، وبهدف اقتصادي أو ديني أو عسكري أو حتى ترويحي – فقد عرفت كل شعوب العالم القديم أشكالاً، وإن كانت بسيطة ومحدودة من الفعاليات التي دمجت الترويح الكسب والمعيشة وفي مقدمتها الصيد بمختلف أنواعه – الطير أو السمك أو الحيوان.

إن حركة الانتقال لم تكن لتتم والمجاميع المرتحلة لم تكن لتصل إلى غاياتها، لو لم يتوفر لها (الكشاف) و(الدليل) و(المرشد) و(المستطلع) أو (الموجه والقائد) بشكل أو بآخر، بخبرة كبيرة أو صغيرة، بتجربة واسعة أو محدودة، بمهمة واحدة محدودة أو بعدة مهام، بصفات أساسية ضئيلة – لكن أساسية، أو بعدة صفات فمهما كان وأينما كان الدليل، فإنه كان ضرورياً ومطلوباً لتحقيق الرحلة وسلامة تحركها ومسيرها وضبط وصولها إلى الهدف المنشود.

إلا أن الأهمية الحقيقية للدليل قدر تعلق الأمر بالسياحة و(بالدليل السياحي) لم تكن بالأهمية التي أوكلت للدليل التجاري والمستطلع الحربي وللمستكشف العسكري أو المدني أو للأمير الديني، لأن السياحة وإن كانت قد صاحبت معظم أنشطة الإنسان ومنذ القدم (بشكل محدد جداً وضيق جداً وغير مباشر وغير مقصود)، فإنها لم تكن من الأهمية لحياة الإنسان ولا من الضرورة لصحته العامة ولا هي حاجة أساسية ولا رغبة ملحة، مثلما أصبحت عليه في يومنا هذا. وفعلياً لم يظهر مفهوم الدليل السياحي في بداياته البسيطة إلا بعد قيام الثورة الصناعية، قبل قرنين تقريباً، وفعلياً مع ظهور بدايات السفر الجماعي المنظم قبل قرن ونصف تقريباً.

إن أهمية هذا المفهوم للسياحة وتعلق نجاح الرحلة السياحية بمن يمارسه لم تتبلور صدقاً وحقاً إلا قبل نصف قرن من السنين، حينما طفت إلى سطح ظاهرة السفر والترحال – الرحلات الجماعية القليلة الكلفة، حيث تحولت السياحة من نشاط للنخبة وللمتميزين والميسورين من الأثرياء

(Tourism of Elite) إلى سياحة الجماهير والطبقات الأقل ثراءً واتسمت بالجماهيرية في اتساعها وانتشارها (Mass Tourism) وفي تعدد مناطق قصدها وخاصة إلى بلدان بعيدة وغريبة عن مواطن وعادات وتقاليد السائح الجديد.

هنا، وفقط هنا، ظهرت الحاجة الجماهيرية الواسعة للدليل ولخدماته وقدراته في الدلالة والإرشاد والتوجيه والضبط لمجاميع كبيرة وعديدة من أفواج السياح (الطائرة) من مكان إلى آخر، بعيد وغريب، لتصل – هذه (الطيور المهاجرة) – بسلام إلى مناطق انتجاعها المؤقت، هاربة من الحر أو البرد في موطن معيشتها الدائم، مهتدية بإرشاده ومنصاعة لتوجيهاته بهدف الوصول إلى تحقيق أهدافها من الرحلة: المتعة والاستجمام.

## 04- التطور التاريخي لمهنة الإرشاد السياحي

رغم أننا أنهينا المبحث السابق بتأكيد على أن مهنة الدليل السياحي المعاصرة لم تتبلور وتأخذ أبعادها الواضحة وأهميتها الحقيقية إلا في النصف الثاني من القرن الماضي، إلا أن هذا التبلور لم يكن وليد ومعطيات الخمسينات من ذلك القرن، بل جاءت من جملة متسلسلة من تطورات وأحداث متراكمة في تاريخ البشرية، تمخضت آنذاك في إبراز الدليل ووضع مهامه وواجباته في موقعها الصحيح وأعطته الأهمية والاعتبار الذي يستحقه.

لقد تطور مفهوم الإرشاد والدلالة وصورة المرشد والدليل، كما تطورت معظم السمات الإنسانية والنشاطات البشرية، عبر مراحل التطور التاريخي – الاجتماعي للإنسان من بداية استقراره في الجبال والكهوف والمغاور إلى أن وصل إلى المدن والمستوطنات البشرية الكبيرة، عبر سلسلة طويلة ومعقدة من الحلقات والمحطات والمراحل التطورية، المتداخلة مع بعضها غالباً والمنفصلة عن بعضها نادراً. إن هذه المراحل رغم وجودها الأكيد لا تعني بالضرورة قدرتنا على رابط تطوير الإرشاد والدلالة معها وحصر التطور في كل مرحلة وحقبة وذلك لأن المورثات المدونة في هذا الموضوع هي في الغالب نادرة وكثيراً ما تكون معدومة. وهي بذلك لا تختلف كثيراً عن غيرها من المواضيع التي أهملها التاريخ كثيراً (أو تطرق لها قليلاً) لا لسبب إلا لأنها لم تكن تثير مسجل التاريخ ومدونة في حينها. فهي لا تشكل خطورة وليس لها تأثير كارثي على معاصريها ولا تتسم بالدموية ولا بالعنف الذي كثيراً ما كان السبب في تسجيل وتدوين أحداث ونسيان وإهمال أحداث أخرى. ومن هذه المواضيع، النشاطات الترويحية والتسلية للبشر، التي نادراً ما نجد ما هو مدون عنها هي الأخرى، والتي كثيراً ما أهملت لفسح المجال أمام مواضيع أكثر

دموية وعنفاً ووحشـــية، عملاً بالمقولة المعاصـــرة: If it bleeds it leads. رغم هذه الحقائق، فبإمكاننا تمييز ست مراحل تتابعت في ظهور ونمو وتطور الإرشاد والدلالة كمفهوم ومهمة وحاجة إنسانية، خاصة على ساحة وطننا العربي الكبير وبلدانه العربية والتي تعاقبت عليها سلسلة من الحقب التاريخية المتشابهة والمتزامنة اجتماعياً وحضارياً وإنسانياً، إضافة إلى نظرة أوسع تشمل الأحداث العالمية – الإنسانية التأثير.

**أولاً: عصور التاريخ والإنسان القديم**

قد يكون الإنسـان القديم، بعد مغادرة الجبال وكهوفها ومغاورها، وبعد أن دجن بعضـاً من حيوانات وطيور وقته، وبســـبب حاجته إلى الماء والمرعى، أكثر من غيره من ســـكان الأرض حاجة إلى الحركة والتنقل والترحال. وكذلك من الممكن أن يكون الأكثر حاجة إلى وجود من يدله ويرشـــده في ترحاله، لأنه كان يتحرك في أرض لا معرفة له بها ولا تجربة له معها – وقد يكون لم يســبقه أحد عليها. فكان إنســان ذلك الوقت الأحوج إلى التنقل والترحال والأحوج إلى وجود مرشــد ومســتكشــف. وكان بحاجة إلى (متتبع أثر) حاذق، لكي يرشـده إلى مناطق الصـيد الغنية بالحيوانات والشـواطئ الوفيرة السـمك والبوادي والغابات المعشعشة بالطير. كان يحتاج (الدليل) ليعرف طريق ترحاله ووجهة سيره ليضمن سلامته وأمنه وغذاءه.

وفي مراحل لاحقة من تطور البشر وعند ظهور الحضـارات الأولى على أثر استقرار الإنسـان في وادي الرافدين ووادي النيل وغيرها من وديان المياه والأرض الخصـبة، ظهرت حالة جديدة إلى (الكشـاف) و(المرشد) و(المتتبع) لإرشاد الجيوش الزاحفة والمجاميع المرتحلة من مستوطنة إلى أخرى ومن مدينة إلى أخرى ومن دويلـة إلى أخرى، ومن ثم من دولـة إلى أخرى. كـان لابد للجيوش من (دليل) وللرحـالـة من (مرشــد). وعندما تطورت هذه الدول وظهرت أولى الإمبراطوريات البشــرية، عشــق ملوكها الصــيد بكافة أنواعه وفي المقدمة منها صيد الوحوش وأهمها الأسود.

ولكثرة ما تشـير إليه الوثائق المدونة – ألواح الطين وصـحائف البردى والمجسـمات والمنحوتات، وما تضـعه من أهمية للصـيد كوسـيلة لإظهار القوة الشـخصـية وكوسـيلة للترويح والتسـلية، فإن من مارسـها من الملوك والأباطرة لابد أنه استعان (بالأدلاء) و(المرشدين) و(المتتبعين) ليس فقط لدلالة الطريق والسير والاتجاه، وليس فقط لضـمان الأمن والسـلامة، بل كذلك لتأشـير المناطق الوفيرة بصـيدها والغنية بالمغامرة والقادرة على توفير الفســحة والتســلية لقاصــديها – وهم علية القوم ونخبة المجتمع ولا بد أن من قام بهذه المهام كان قادراً عليها وماهراً فيها لإرضاء هذه النخبة ولتحقيق أغراضها وغاياتها.

ولكثرة ما صورت المجسمات والمنحوتات ملوك سومر وبابل وآشور وهم يلهون بصيد الأسود والحمر الوحشية والغزلان وغيرها من حيوانات الصيد، ولأن حاشية هؤلاء الملوك ضمت فيما ضمت، الطهاة والسقاة والمغنيين والعازفين – إضافة إلى من أوكلت لهم مهمة رعاة الحيوانات والطرائد بعد قنصها حيةً (كان كثيراً منها يرسل كهدايا ملكية)، فلابد والحالة هذه – بل من الضروري أن يكون هنالك (أدلاء) و(مرشدين) ليس للطريق فقط بل ومتتبعين للطرائد ومكانها وقادرين على تحديد مخابئها. من مرشدين وإدلاء ماهرين ومتمكنين من مهنتهم، لأهمية المهنة وعظمة المسؤولية في توفير الدلالة لملك عظيم وجبار.

**ثانياً: عصور ما قبل الإسلام**

حيث صاحب (الأدلاء والمرشدون) قوافل التجارة من اليمن في جنوب غرب الجزيرة العربية وهي تتجه شمالاً ومروراً بمكة والطائف أو على مشارفها وبمحاذاة السواحل الشرقية للبحر الأحمر وصولاً إلى نقاط التوزع: شمالاً إلى الشام وشرقاً إلى العراق وغرباً إلى مصر. أو من حضرموت في جنوب شرق الجزيرة صعوداً إلى سواحل خليج عمان والخليج العربي الغربية لتصل إلى العراق ومنه إلى تركيا وبلاد فارس. كان (الدليل) حاضراً يصاحب القوافل آنذاك ويعرف باسم (الدليل أو العارفة) ومهمته الرئيسية معرفة مخاطر الطريق وتجنبها والدلالة على مواطن توفر الماء والعشب والراحة، حيث كان للقافلة من يحميها من الفرسان والمقاتلين ويقف بوجه المعتدين عليها من السراق وقطاع الطرق.

**ثالثاً: قيام الدولة العربية الإسلامية**

حين انتشر الإسلام الحنيف واتسعت الدولة وتباعدت آفاقها لتصل الصين في الشرق وإسبانيا في الغرب وحيث كثرت الأسواق وتعددت المراكز المدنية الكبيرة سواء كانت ثقافية أو تجارية أو دينية، استمرت القوافل على الحركة بأفراد ومجاميع ذات أهداف عديدة (تجارية، ثقافية، دينية وطلباً العلم والمعرفة، وحباً بالاستطلاع ومعرفة البلدان)، وتحركت كذلك الجيوش بهدف نشر الدين الحنيف وإيصاله إلى أبعد نقطة ممكنة. والقافلة التجارية والأرهاط العسكرية تحتاج إلى (الدليل) و(المرشد) و(المستكشف) و(المستطلع) بأعداد أكثر من السابق وبمهارات وإمكانيات لم تكن مطلوبة في الحقبة الأولى، وفي مقدمتها معرفة لغة البلدان الجديدة – بعد تجاوز حدود الجزيرة العربية، وتقاليدها وفهم مجتمعاتها والقدرة على التفاهم والتعامل مع أفرادها. وكذلك ظهرت حركة ترحال جديدة كلياً إن لم تكن بالنوع والهدف، ففي المعنى الجديد للدين الجديد، ألا وهي الحج إلى بيت الله الحرام – مكة المكرمة، وزيارة المدينة المنورة وقبر الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم).

لقد كانت مواسم الحج ومواكبه أعياداً عظيمة ومناسبة رائعة للسرور والبهجة والمتعة، وكان من أهم ميزاتها مواكب الحج المتجهة من كل بقاع الدولة العربية الإسلامية إلى عاصمتها بغداد ومنها إلى مكة المكرمة، حيث يكون الخليفة على رأس الموكب. إلا أن ما يهمنا هنا هو (أمير الحج) الذي هو فعلياً وعملياً (دليل) اليوم بلبوس الأمس. فقد كانت واجباته ومهامه وما مطلوب منه من مسؤولية مقاربة جداً (مع فارق ظروف النقل والإقامة والطعام) لما مطلوب من دليل اليوم المعاصر. فقد كان عليه جمع الحجيج في مكان معين ووقت معين وترتيبهم في السير والنزول، وأن يرفق بهم في السير، ويسلك بهم أوضح الطرق، يدلهم على مناطق الماء ومواطن الري، يحرسهم ويرعاهم، وغيرها من مهام، سنجد لاحقاً أن مهام دليل اليوم ما هي إلا توسيع وتطوير لها

**رابعاً: عصر الاستكشافات الجغرافية والعالم الجديد**

لقد حرك عامل الدين الفتوحات العربية الإسلامية الأولى، إلا أن التجارة التي استفادت من تلك الفتوحات، سعت الآن إلى فتح الأسواق (عرضاً وطلباً، استيراداً وتصديراً) في تلك البقاع البعيدة، وأبعد منها، وبذلك مهدت الطريق أمام استكشافات جديدة ولظهور العالم الجديد الواسع والشاسع الأطراف والكثير الخيرات والثروات.

لقد اعتنى الخلفاء واهتموا بتسهيل سير التجارة، فحفروا الآبار على طُرق ومسارات القوافل، وأنشئوا الحصون وبنوا الأساطيل والسفن الحربية لحماية السواحل، فأصبحت قوافل العرب المسلمين تجوب الأرض وسفنهم تمخر البحار، وتصعد زوارقهم وتنزل في الأنهر الكبيرة. وتمكنت هذه القوافل والسفن والزوارق من ربط البحر المتوسط بخليج العرب، عبر سوريا والعراق. وبقدر ما استمرت الحاجة إلى (الدليل) على الأرض ظهرت الآن الحاجة إلى (دليل بحري) إضافة إلى الملاحين وغيرهم من العاملين على السفن.

تمكنت سفن العرب من الانطلاق غرباً من موانئ المتوسط الشرقية وأهمها وأشهرها آنذاك ميناء أنطاكية الحصين، وصولاً إلى جبل طارق، وانطلقت الرحلات البحرية من بغداد شرقاً مروراً بخليج وبحر العرب وصولاً إلى شبه جزيرة ملقا (ماليزيا حالياً) بعد أن اجتازوا جزيرة سلان. وأوصلت الرحلات البحرية الطويلة العرب آنذاك إلى بلاد الصين. وكان التجار يشجعون هذه الرحلات ويدعموها لما كانت تحققه لهم من أرباح ومكاسب من خلال ما تجلبه من توابل وعطور الهند وملابس وحرير الصين، بعد أن كانت قد غادرت وهي محملة بالسلع الواردة من دمشق والبصرة وعمان وغيرها وناقلة تجارة العرب إلى أقصى بقاع

العالم المعروف يومها. وأحســـن مثال على تعاظم الحاجة إلى الأدلاء والمرشـــدين البحريين كتاب (دليل المسافرين) الذي وضعه أبو القاسم بن خرداويه في القرن الثالث الهجري، واصافاً فيه فيما وصف، الطريق البحري الذي يبدأ من مصـــب دجلة عند الأبلة (البصـــرة) ويصـــل إلى بلاد الهند والصـــين. ويعد كتابه (المســـالك والممالك) بحق من أقدم الكتب الجغرافية، وهو عبارة عن دليل يســـتعين به المســـافرون في الاهتداء إلى الطريق البحري.

إن اهتمام الخلفاء العباســـيين بالتجارة، بقدر ما أدى إلى رقيها وتقدمها فإنه قد مهد الطريق أمام نشـاطين صـاحبا التجارة وتطورا عمها وبتطورها ازدهرا. أول هذه النتاجات الجانبية ظهور نمط جديد من الترحال ألا وهو الترحال بهدف الاطلاع والتعرف على البلدان الجديدة والشـعوب القريبة، سـلوك أقرب ما يكون إلى السوح والسياحة المعاصـرة، محصـوراً وميسـوراً لأعداد قليلة جداً من المهتمين والقادرين عليه. وساعد في انتشار هذا السلوك الجديد، المرافق التي أقيمت للتجارة أصـلاً وخاصـة تلك الفنادق التي كانت للتجار الغرباء والقريبة الشـبه بالأسـواق الكبيرة، يضـعون بضـاعتهم وحيواناتهم في داخلها وينامون في طوابق خصصت لهم في أعلاها. أما الإفراز الثاني للاهتمام بالتجارة، فهو أنه مهد السبيل أمام (الكاشفين والرحالة) العرب الذين كثرت رحلاتهم التي تدعو إلى الإعجاب، حيث وصـلوا إلى أبعد البلدان ووضـعوا أدق الوصـف لها – وصـفاً موضـوعياً معتمداً على معاينة موقعية ومشـاهدة شـخصـية ومباشـرة، حيث أصبحت مدوناتهم مصدراً مهماً جداً لمعلومات وافية عن تلك البلدان إلى يومنا هذا، ومراجع مهمة لتدريس الإرشاد السياحي في كليات وجامعات العالم المعاصر.

لقد سـهلت ظروف ومعطيات تطور التجارة الخارجية، الأسـفار ومهدت السـبيل أمام (الكاشـفين والرحالين) فقام الكثير منهم بزيارات ورحلات عديدة وسـجلوا وصـف البلدان والأقاليم والمماليك التي زاروها الكتب والأسفار، تسجيلاً ووصفاً دقيقاً مبنياً على المشاهدة الشخصية. وبذلك ترك لنا الجغرافيون العرب المســـلمون ثروة جغرافية علمية مازالت مهمة ومفيدة وفريدة حتى يومنا هذا. وهم بذلك مهدوا الطريق أمام ظهور صورة (الدليل) و(الكشاف) المعاصر وتبلورها بالشكل الذي هي عليه في يومنا هذا.

**خامساً: عصر النهضة والثورة الصناعية والتكنولوجية**

رغم اتساق آفاق الترحال وتعدد جهاته وتباعد مقاصده، فإنه بقي كما وضحنا في الحقبة الرابعة – محصوراً بالنشاط التجاري والعسكري ومقرونا به، إلى حد ما بالنشاط العلمي الاستكشافي، وميسوراً لأعداد قليلة جداً من المهتمين بالترحال والقادرين على تحمل كلفه ومخاطره.

استمر الحال على ما هو عليه سواء في الوطن العربي أو الآفاق الجديدة التي اتسعت أمام الفتح العربي الإسلامي، أو أمام الأوروبيين الذين بدؤوا الآن ينهضون من سباتهم العميق والطويل بما كسبوه من معرفة وعلم من تراجم الكتب والمراجع العربية – الإسلامية وما أضافوا إليها وصولاً إلى ظهور الثورة الصناعية التي فتحت عن قصد ودون قصد آفاقاً واسعةً أمام النشاط التسلوي – الترويحي والذي يتطلب، فيما يتطلب من خدمات، وجود (مرشدٍ) و(دليلٍ) يساعد على الترحال والتنقل الأمين.

لقد شهدت أوروبا على الأيام الأولى لنهضتها تقدماً اجتماعياً ثقافياً كبيراً بخصوص النظرة للترويح والتسلية والسلوك الفردي (العبثي) أو غير الملتزم بالصرامة الكنائسية والسلوك الديني المتشدد آنذاك. لقد أدت هذه الثقافة الجديدة إلى توسيع دائرة المهتمين والقادرين على السوح والترويح، وخاصة هواية الصيد (الثعالب وأنواع الطيور) التي كانت محصورة بالملوك والأمراء والنبلاء. كذلك ساعدت الظروف الاقتصادية الجديدة وبداية الوفرة التي تحققت لشرائح اجتماعية أوسع، مصحوبة بعوامل بيئية سلبية تمثلت باكتظاظ المدن وتلوثها، وأخرى إيجابية مرتبطة بتوافر طرق ووسائط نقل متطورة وقليلة الكلفة نسبياً، ساعدت كل هذه العوامل المحفزة للسلوك الترويحي على جعل هذا السلوك ميسوراً وممكناً لأعداد أكبر من الناس وشجعت هذه الظروف كذلك على السفر والترحال ولأعداد كبيرة نسبياً من الناس ولأماكن أبعد ومقاصد أغرب، مما أظهر الحاجة الملحة إلى (الدليل) و(المرشد) و(الكشاف)، ليواكب الطلب على الترحال لمختلف الأهداف والمقاصد.

وهنا لابد من التوقف عند محطة مهمة، هي ليست بأهمية محطة (أمير الحج) لكنها مهمة جداً في سفر تطور السياحة بشكل عام وتبلور مهمة ووظيفة (الدليل)، ألا وهي ظهور السفر المنظم والرحلات السياحية الجماعية التي دشنها في منتصف القرن التاسع عشر في إنكلترا توماس كوك (Thomas Cook) الذي ابتكر هذا النمط من السفر ونفذه في أول رحلة لمجموعة من المهتمين تعد الأولى من نوعها في التأريخ المعاصر – وذلك في صيف عام 1846م. وممكن أن يقال أن السيد كوك نفسه يعتبر أول دليل سياحي معاصر حيث قاد وأرشد بل وأعد ونظم ووزع مطبوعاً سياحياً للمجاميع التي قادها من إنكلترا إلى أوروبا، وعبر أوروبا، ثم حول العالم في وقت لاحق وبما سمي بالرحلات السياحية الكبرى

(The Grand Tours). وبسبب من تطور مجمل العوامل المحفوزة للسفر والترحال والسفر الترويحي بشكل خاص، فقد ظهرت حاجة متزايدة إلى من يوفر فرصة السفر لكل طالبيها من الناس، حاجة إلى أشخاص أو مؤسسات قادرين على وضع مكونات الرحلة المتعددة والمختلفة مع بعضها البعض وتوفيرها مجتمعة إلى طالبيها من السياح، وهكذا ظهر من أطلق عليهم تسمية منتجي الرحلات ومنظميها (Tour Organizers \ Producers). لقد تمكن هؤلاء (المنتجون – المصنعون) من جمع مكونات منفردة ومتفرقة (نقل، إيواء، إطعام، تسلية ونزه وغيرها) ورزمها على شكل رحلة كاملة تباع للسائح بسعر مخفض عما هو سائد من أسعار، وهكذا ظهرت الرحلة السياحية المرزومة أو الإجمالية (The Packaged Tour). ولأن هذه الرحلات كانت موجها إلى المجاميع من السياح بشكل غالب، فقد كان من أهم سماتها (وأحد مكوناتها الرئيسية) وجود المرشد والكشاف والدليل القادر على قيادة هذه المجاميع وضبط تحركها وإيصالها إلى مقاصدها وتحقيق أهدافها بيسر، وهكذا ظهر الدليل السياحي المعاصر (The Tourists Guide). وهكذا تبلورت صورة الدليل واتضحت معالم هذه المهنة وشخصت فوائدها وأهميتها للرحلة المنظمة وللمشاركين فيها من السياح وخاصة ممن هم حديثو عهد بالسفر أو الرحلات البعيدة وإلى مناطق جديدة وغير معروفة لأسراب السياح المنطلقين كالطيور المهاجرة فصلياً وسنوياً، صيفاً وشتاءً.

**سادساً: الثورة الإلكترونية وعصر المعلوماتية**

لقد سهلت هذه الثورة الجديد وهذا العصر الغريب – عصر الإلكترونيات والحاسوب و(الفأر) وشبكة المعلومات الدولية والبريد الإلكتروني وغيرها من منجزاته ومستجداته، للناس الحصول على المعلومات عن أي مكان يرغبون بسرعة فائقة ودقة متناهية وشبه مجاناً وهم في دفء بيوتهم وبدون أي مشقة أو كلفة بالمال أو بالوقت. وازدادت ورخصت وسائط النقل وأصبحت أكثر أماناً وتصل إلى أبعد بقاع العالم. فانتشر السفر الجماعي وأصبحت الملايين من الجماهير – وليس النخبة فقط – تسافر و(تهاجر) إلى أماكن بعيدة ونائية وفريدة النوعية، بحيث شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين ثورة في الطلب على الدليل السياحي والخدمات الإرشادية والتوضيحية.

لقد شهدت تلك العقود تضاعفاً سريعاً ومستمراً لأعداد الرحلات المنظمة للمجاميع السياحية من مختلف الأعمار والمهن والاهتمامات ولأشخاص كانوا في غالبيتهم حديثو عهد بالسفر والترحال والسياحة. فقد وفرت تلك السنين الدخل الشخصي الفائض عن الحاجات الأساسية، والوقت الحر الممكن إنفاقها في

التسلية واللهو والسفر والترحال، وحينما اجتماع معها وسائط السفر السريع والأمين والرخيص (الطائرة بشكل أساسي) انفتحت آفاق واسعة أمامهم وأمام السفر. لقد أصبح بإمكان الملايين من النسا الذهاب إلى أماكن بعيدة عن موطنهم الأصـــلي أو غريبة عما هم معتادون عليه، يتحدث أهلها لغة لا يعرفونها، ويتبعون تقاليد وعادات غير مألوفة لهم، ويمارسون طقوساً مبهمة المعنى والقيمة لهم، يأكلون غير ما هم معتادون على أكله أو تقبله من الطعام. أصبحت الملايين تسافر لمتلف الأسباب والأغراض والأهداف – فالبعض يســـافر لمجرد الترحال وتغيير المعتاد، وآخرون يســـافرون للتعلم والثقافة، وغيرهم للترويح والاستجمام وقضاء وقت الفراغ، ورجال الأعمال يسافرون للعمل والتسلية في سياحة رجال الأعمال، والمؤتمرون يقضون جزءاً كبيراً من أوقات سفرهم في سياحة المؤتمرات، وغير هذه الأشكال كثير من أشكال السفر والسياحة.

لكل هؤلاء السياح، المختلفو الأنواع والاهتمامات والأهداف والغايات ولكل هذه الأشكال والأنماط من السفر – الفردي والجماعي، للمجاميع الكبيرة أو الصغيرة، المرتب شخصياً أو المعد من قبل وكيل سفر سواء لرحلة إجمالية أو شاملة داخل الوطن أو خارجه، إلى الجبال أو شواطئ البحار، إلى الغابات أو حدائق النبات والحيوان، إلى المدن أو الأرياف، إلى المراقد الدينية والمزارات أو مراكز اللهو والاستجمام، وعشرات الأنماط الأخرى. لكل هؤلاء وتلك كان لابد من توفير دليل ومرشد ومرافق وكشاف، قادر على الذهاب والعودة بهم وتحقيق ما يذهبون لأجله من غايات وجعل رحلتهم مســـلية وممتعة وغنية بتجربة وممارسة ذات طعم ومذاق سيبقى إلى المرة القادمة. وهكذا ظهر الدليل المعاصر – ذو ثقافة عالية وتعليم متكامل، ومعرفة باللغات والعادات والتقاليد، مخلص في عمله ومتقن له يتفانى من اجل خدمة مرافقيه، له دور كبير ومؤثر في تحقيق أهداف التنمية السياحية ولكل أطراف العملية السياحية.